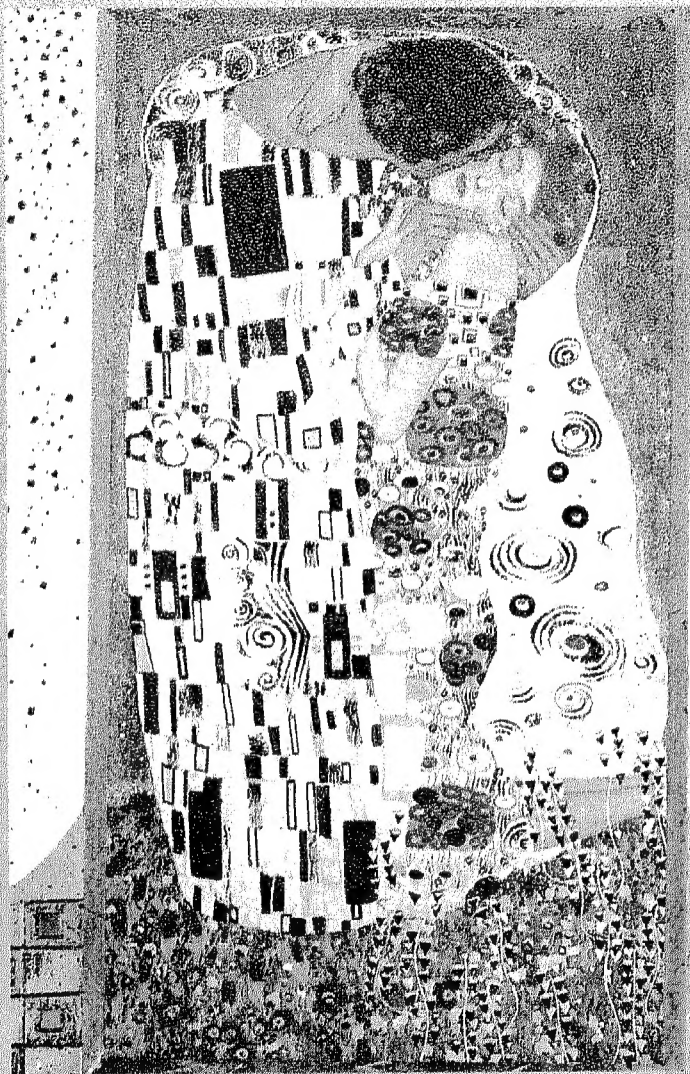
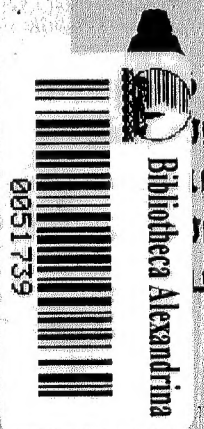


غزليات نيرودا



ديوان
أشعار
القبطان

تأليف : بابلو نيرودا
ترجمة : ماهر البطوطي



غزليات نيرودا

ديوان
أشعار
القبطان

تأليف : بابلو نيرودا
ترجمة : ماهر البطوطي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٨٩٩

الغلاف:

أمينة على أحمد

الإخراج الفني والتنفيذ

صبرى عبد الواحد

الحب

الأرض فيك

أيتها الوردة الصغيرة

يا وريدة

تبدین أحيانا

دقيقة عارية

كأن إحدى يدي

تسـعـك

وأنتى سوف أضـمـك

وأرفعك الى فمى .

ولكن ، فجأة

تلمس قدماى قدميك
ويلمس فمى شفتيك :
عندئذ تكبرين
ويتطاول كتفاك كأنهما ربوتان
ويرتع نهداك فوق صدرى
ويكاد ذراعى
لا يحيط ببدر خصرك النحيل :
لقد أطلقت سراح نفسك
فى أغمار الحب

كأنها المياه المنسابة
فلا أكاد أقيس
عينيك الأكثر رحابة من السماء
وانحنى على ثغرك
لأمنح قبلة للأرض .

الملكة

لقد أعلنتكِ ملكة .

ثمة فتيات أطول منك ،

أطول

وثمة فتيات أصفى منك ،

أصفى

وثمة فتيات أجمل منك ،

ثمة أجمل .

ولكنكِ أنتِ الملكة

حين تخطرین فی الطرقات
لا یتعرف علیکِ أحد
لا أحد یری تاجک البلوری ،
لا أحد یری البساط الأحمر
الذی تخطرین علیه حین تمرین
البساط الذی لا وجود له .

وحین تظهرین
تهدر جمیع الأنهار فی جسدی
وتهز النواقیس عنان السماء
وثمة نشید یملأ الدنیا
طولا وعرضا .
أنتِ وأنا فحسب ،
أنتِ وأنا فحسب یا حبیبتی
نسمعه .

صانع الفخار

جسدك كله

فيه اكتمال و عذوبة

مقدرة لي

حين أحرك يدك الى أعلى

أحد في كل مكان حمامة

تبحت عني

كأنما هم با حبيبتى

قد صنعوك من الصلصال

من أحل يدىّ التى تصنع الفخار

ركبتاك ، نهذاك

حصرك

إن هي إلا أجزاء مفقودة مى

كالشق فى الأرض العطسى

يكسرون منه حراء

ونحن معا ننم بعضا بعضا

كالنهر الواحد ،

كحبة الرمال الواحدة

٨ سبتمبر

اليوم ،

هذا اليوم

كان كأسا مترعا

اليوم ،

هذا اليوم

كان موجة عارمة .

اليوم ،

كان الأرض كلها .

اليوم ،
رفَعْنَا البحر العاصف
في قبلة
بلغ من علوها
أن ارتجفنا في ضوء البرق
وهبطنا معا الى أسفل
وقد انعقد الواحد منا الى الآخر
دونما فكاك .

اليوم ،
نطاول جسدانا واتسعا
ونميا حتى بلغا حدود الدنيا
ودارا ذاثنين
في نقطة واحدة
من الشمع أو من الشهب .
وانفتح باب جديد بيني وبينك

وكان هناك شخص ما
لا يكاد يبين له وجهه
في انتظارنا هناك .

قدماك

حين لا أستطيع أن أنظر الى وجهك
أنظر الى قدميك .

قدماك

من العظم المعقوف

قدماك الصغيرتان الصليبتان .

إني أعرف أهما يد عمالك

وأن ثقلك الذب

يقوم عليهما .

خصرك ونهداك ،

وأرجوان حلمتيك المضاعف ،

ومرقد عينيك

الذين طارا لتوهما ،

وثفرك العريض الفاكهي ،

وشعرك الأحمر

هو برجى الصغير .

ولكنى لا أعشق قدميك

إلا لأنهما قد مشيتا

على الأرض

وعلى الرياح

وعلى المياه

الى أن التقتا بى .

يداكِ

حين تندفع يداكِ

يا حبيبتي

تجاه يديّ

ماذا تقدمان لي ،

إذ هما تطيران ؟

لماذا تتوقضان فجأة عند فمي

ولماذا أتعرف عليهما دائما

كما لو كنتُ قد لمستهما

الآن ومن قبل

كما لو كانتا قد عبرتا فوق جبيني

وفوق خصرى

من قبل أن توجدا ؟

لقد ههيفت عذوبتهما

فوق الزمن وفوق البحر ،

فوق الدخان وفوق الربيع ؛

وحين وضعت يديك على صدرى

عرفتُ فوراً

جناحى تلك اليمامة الذهبية

عرفتُ فوراً

ذلك الصلصال

ولون القمح ذاك .

لقد تجولت طوال ستوات عمري

بحثاً عنك

صعدتُ السّلام
وعبرتُ الطّرق
وحملتني القطارات
وأعادتنى المياه
واعتقدتُ اننى قد لمستك
عندما لمستُ حبات الكُرْم .

ويعيد لى صقيل الخشب فجأة
لمسكٍ الى ذهني
وتهتف بى شجرة اللوز
بعذوبتكِ الخفية
الى أن تنفلق يداكِ فى صدرى
وتنهيان رحلتهمَا هناك
كأنهما جناحان صغيران .

ضحكتك *

امنعى عنى الخبز إذا أردت

امنعى عنى الهواء

ولكن

لا تمنعنى عنى ضحكتك .

لا تمنعنى عنى الوردة

الرماح التى تنتثر منها

المياه

* نُشرت هذه القصيدة قبل ذلك فى مجموعة

"اسبانيا فى القلب" الصادرة عن الهيئة العامة

للكتاب .

التي تنبجس فجأة فى فرحتك
الموجة الفضية المباغته
التي تولد منك

إن صراعى مرير
ومرات كثيرة
أعود متعب العينين
من رؤية الدنيا التي لا تتغير

ولكن ، حين أدخل
تنطلق ضحكك الى الأعلى
باحثة عنى
وتفتح لى
أبواب الحياة كلها .

يا حبيبتي ،

فى أحلك الأوقات
تتناثر ضحكتك
فإذا رأيت فجأة
دمائى تخضب حجارة الطريق
فاضحكى
لأن ضحكتك ستهب يدى
سيفا مسلولا .

وفى الخريف
بالقرب من البحر
لا بد لضحكتك
أن ترفع شلالات من الزبد .
وفى الربيع يا حبيبتى
أحب ضحكتك
لأنها كالزهرة التى أرتقبها

الزهرة الزرقاء

زهرة وطنى المرناة .

اضحكى من الليل

من النهار ، من القمر

اضحكى من شوارع الجزيرة الملتفة

اضحكى من هذا الفتى الذى يحبك

ولكن

حين أفتح عيني وأغمضها

وحين تذهب خطاى

وحين تعود خطاى

امننى عنى الخبز ، والهواء

النور والربيع

ولكن

لا تمننى عنى ضحكك

إذ أنى عندذاك موتا أموت .

القلب

لقد خرجت عيناى من محجريهما
سعيًا وراء فتاة سمراء
مرت من أمامى .

كانت مجبولة من العقيق الأسود
مضفورة بحبات التوت الأرجوانية
وساطت دمائى
بذيلها النارى .

إنى أسعى وراءهن
وراءهن جميعا أسعى .

ومرت أمامى شقراء شاحبة
كأنما هى نبات مجبول من ذهب
وهى توازن بين مفاتها .
وراح فمى ، كالموجة ،
يطلق إبراقات من الدم
فوق نهديها .

إنى أسعى وراءهن
وراءهن جميعا أسعى .

ولكن ،
إليك أنتِ
دون أن أنتقل من مكانى

ودون أن أراكِ

يذهب دمي وقبلاتي

أى سمرائى وشقراى

أى طويلتى وصغيرتى

أى عريضتى ونحيلتى

أى قبيحتى وفاتنتى .

أنتِ مجبولة من كل أنواع النضار

ومن كل أنواع اللجين

من القمح جميعه

ومن الأرض كلها

مجبولة من كل المياه

ومن موجات البحار

مجبولة من أجل ذراعى

مجبولة من أجل قبلاتي

مجبولة من أجل روحى .

الليل فوق الجزيرة

لقد نمتُ الى جوارك طوال الليل

على شاطئ البحر ، في الجزيرة

كم كنتِ وحشية لذيفة

بين اللذة وبين المنام

بين النيران وبين المياه .

ربما التقت أحلامنا

متأخرة أكثر من اللازم

في القمة أو في القاع

فى الأعلى
كالأفنان يهزها الريح
وفى أسفل كالجذور الحمراء
يلامس بعضها بعضا .

ربما ابتعد حلمك عن حلمى
وراح يبحث عنى وسط البحر المظلم
كما حدث من قبل
حين لم تكونى بعد موجودة
حين أبحرت الى جوارك
ولم أكن أراك بعد
وبحثت عيناك
عما أغمرك به الآن :
الخبز والنبىذ والحب والفضب .
لأنك أنت القدح

الدى كان ينتظر عطايا حياتى

لقد نمتُ الى حوارك

طوال الليل

ببما تدور الأرض العنماء ونلم

بأحبابها وأمواتها ،

وحين اسنقظتُ فحأة

فى وسط الطلال

التفتُ درا عاى حول حصرك

فلا الليل ، ولا النوم

اسطاعا أن يمرفا بييسا

لعد نمت الى حوارك

وعند الاسنقظ

وجدت فى ثغركِ

الخارج توا من النوم

طعم الأرض

طعم المياه البحرية

طعم طحالب البحر

طعم أعماق حياتك .

واستقبلتُ قبيلتك

وقد رطبها الفجر

فكأنما جاء تنى

من البحر الذى يحيط بنا

الريح فى الجزيرة

الريح حصان

انصتى اليه كيف يجرى خببا

خلال البحر ، وخلال السماء

يريد أن يحملنى ،

انصتى اليه كيف يجوب العالم

كيما يحملنى معه بعيدا

خبثينى بين ذراعيك

هذه الليلة فحسب ،
بينما تكسر الأمطار
على البحر وعلى الأرض
ثغرها الذي لا يحصره عد

انصتي كيف تناديني الرياح
وهي تخبُّ كيما تحملني بعيدا

اتركي الرياح تندفع
مجللة بالزبد

دعيها تناديني وتبحث عني
خبيا في الظلال
بينما أنا -
غارقا في عينيك الواسعتين ،

هذه الليلة فحسب -

أنام مستريحا

الى جوارك يا حبيبتي

الرحيبة

هل ترين هاتين اليدين ؟

لقد قاستا الأرض

لقد استخرجتا المعادن والغلال

لقد صاغتا السلم والحرب

لقد أزالتا المسافات

التي تفصل البحار والأنهار .

ومع ذلك ،

حين تلمسان جسدك يا صغيرتي

يا حبة القمح ،

يا عصفورتي ،

لا تملكان أن تحتويك
وتتعبان إذ تنشدان
الحمامتين التوأم
اللتين تستريحان أو تطيران
فوق نهديك
إذ هما تتحسسان أبعاد ساقيك
وتتعانقان في نور خصرك
أنتِ لى كنز
أكثر رحابة من البحر وروافده
وأنتِ بيضاء وزرقاء ورحيبة
كالأرض وقت حصاد الكروم .
وفي هذا النطاق ،
من قدميكِ الى جبينك
ماشيا ، ماشيا ، ماشيا ،
سأقضى حياتى .

أيتها الجميلة

أيتها الجميلة :

كما تشق المياه

برقا عريضا من الزبد

فى وسط صخور النيع البارد ،

هكذا تفعل الابتسامة التى تضئ وجهك

يا جميلة .

أيتها الجميلة :

يا ذات اليدين الرقيقتين

والقدمين الدقيقتين

لكأنك، مهر من فضة
تمشين كزهرة الدنيا
فهكذا أراك،
يا جميلة .

أيتها الجميلة :
إن لك، عشا نحاسيا
مضفورا حول رأسك ،
عش له لون العسل الداكن
حيث يتوهج قلبي ويستريح
يا جميلة .

أيتها الجميلة : إن وجهك لا يسع عينيك،
إن الأرض كلها لا تسع عينيك

ثمة بلدان وثمة أنهار
في عينيك
إن موطني في عينيك
وأنا أمشي فيهما
وهما يضيئان لي الدنيا
حيثما مشيت
يا جميلة .

أيتها الجميلة : إن نهديك رغيفا خبز
مجبولان من قمح الأرض
ومن قمر ذهبي
يا جميلة .

أيتها الجميلة : إن خصرك
قد صاغه ذراعي

على صورة نهر
تدفق ألف سنة
عبر جسدك الجميل
يا جميلة .

أيتها الجميلة :
ليس من شئ يماثل ردفيك
وربما كان للأرض -
في مكان ما خفي مستور -
تدويره جسدك وشذاه
ربما ، في مكان خفي مستور
يا جميلة .

أيتها الجميلة ،
يا جميلتي .

إن صوتك وبشرتك وأظافرك

أيتها الجميلة ، يا جميلتي ،

وجودك ، نورك ، ظلك ،

أيتها الجميلة ،

كل هذا هولى أنا ، يا جميلة

كل هذالى ، لى .

وحين تمشين أو تستريحين

وحين تغنين أو تنامين

وحين تعادين أو تحلمين ،

دائما ،

أنت لى ، يا جميلتي ،

دائما .

الغصن المسروق

سندلف سويا
حين يهبط الليل
كيما نسرق غصنا مزهرا

سنتسلق الجدار
في عتمة الحديقة الغربية عنا
وتغدو مجرد ظليين في الظلال .

لم ينقض الشتاء بعد

وتبدو شجرة التفاح
وقد تحولت بفتة
الى شلال من النجوم العاطرة

سندلف حين يهبط الليل
حتى نصل الى قبته الراجفة
وستسرق يداي ويداك الصغيرتان
النجوم .

وفي سكون

يدلف مع خطواتك
خطوة العطر الصامتة
وجسد الربيع الصافي
بأقدامه المرصعة بالنجوم
الى منزلنا
فى الليل وفى الظل .

الابن

آه يا بنى ،

أتعرف ، أتعرف

من أين أتيت ؟

من بحيرة

ملينة بالنوارس البيضاء الجائعة

الى جوار مياه الشتاء

اصطنعنا هى وأنا

حذوة نار حمراء
وأنهكنا شفاها
من تقبيل روح أحدا الآحر
ونحن ملقى كل شئ للسيران
فتحرق فيها حياتينا
هكذا جئتُ الى الدنيا .

ولكنها
كى تراى وكى تراكُ
عبرتُ البحار
وأنا ،
كى أطوق خصرها النحيل ،
مشيتُ الأرض طولا وعرضا

وسط الحروب والجبال

وسط الرمال والأشواك .

هكذا جئتُ الى الدنيا .

لقد جئتُ من أمكنة عديدة

من المياه ومن الأرض ،

من النيران ومن الثلوج ،

من بعيد

تمشى نحونا نحن الاثنيين

حتى وددنا أن نعرف

ما شكلك

وماذا ستقول لنا

لأنك تعلم أكثر

عن العالم الذى أعطيناك إياه .

ومثل العاصفة العاتية
نهز شجرة الحياة
حتى أشد أعواد جذورها خفية

وها انتُ تستبين
منشدا بين الأوراق
على أعلى فرع من فروعها
نصل اليه معك .

الأرض

لقد استسلمت الأرض الخضراء

لكل ما هو أصفر ذهبي :

حصاد ، مراة ، أوراق ، حبوب .

ولكن ،

حين يرتفع الخريف

برايته الرحيبة

ما أرى إلا أنتِ ،

فشعركِ عندى

هو ما يغربل حبات القمح .

إنى أرى الآثار
مجبولة من الصخر العتيق المحطوم
ولكن
إذا أنا لمست بأصابعى
الندبة الحجرية
يستجيب جسدك لى
وتتعرف أصابعى بغتة
وهى راجفة
على حلاوتك الدافئة .
إنى أسير مع الأبطال
تزين صدورهم
نياشين الأرض والغبار
ومن خلفهم
تسيرين صامتة
بخطوات قصيرة .

أهو أنتِ أم لا ؟

وأمس ،

حين اقتلعوا الشجرة العتيقة الضئيلة

كيما يروا ما هي

رأيتكِ تخرجين منها

تتطلعين نحوى

من بين الجذور المعذبة الظامئة .

وحين يأتى النوم أخيرا

كيما يمددنى

ويحملنى الى عالم صمتى

ثمة ريح بيضاء عاتية

تدمر نومى

فتتساقط منه الأوراق

تتساقط كأنها السكاكين

من فوقی

فتنزف منی دمی .

وکل جرح من جراحی

له شکل فمک

غياب

لا أكاد أتركك
حتى تندمجين فيّ ،
رقراقة أو راجفة ،
أو قلقة ، وقد أثخنتك بالجراح
أو قد أترعك الغرام
مثلما تفعلين
حينما تنغمض عيناك على هبة الحياة
التي أقدمها اليك بلا انقطاع

يا حبيبتي
لقد التقينا عطشنى
فنهلنا كل ما كان من ماء ودماء
لقد التقينا جوعى
فعض الواحد منا الآخر ،
كما تعض النيران ،
تاركين وراءنا جراحا

ولكن ،
انتظرينى ،
احفظلى لى عذوبتك
وسأعطيك أنا أيضا
وردة يانعة .

الرغبة

النمر

أما النمر

أترصدك من بين أوراق الشجر

العريضة

كأنها سبائك من المعدن المبلول

ويتطاول النهر الأبيض

تحت الغمام

ثم تأتي إلى.

وتسغمرين عارية
وأنتظر .

وعندئذ
فى وثبة من نار
ودم وأسنان
أهدم بهديك
ورد فيك
وأنهل من دمك
وأحطم أطرافك
واحدا بعد الآخر .

وأبقى سنوات فى الغابة
سأهرا على عظامك
وعلى رمادك

دونها حراك

بعيدا عن أى كراهية أو غضب

وقد نزع منى موتك أسلحتى .

وتعبرنى النباتات المتسلقة

دونها حراك تحت الأمطار

حارس لا تلين له قناة

لحبي القاتل .

النسر

إنى أنا النسر .

أطير فوقك حين تمشين

وأهاجمك بفتة

فى فورة من الرياح والريش والمخالب

وأرفعك

فى زوبعة صافرة

من البرد الإعصارى .

وأحملك معى

الى برجى المجبول من الثلج

الى وكري الأسود
حيث تعيشين وحيدة
وتغطين نفسك بالريش
وتطيرين فوق العالم
دونما حراك فى الأعلى .

أيتها النسرة
فلننقض فوق هذه الفريسة الحمراء
وننزع عنها
ما ينبض فيها من حياة
ثم نرتفع سويا
فى طيراننا الوحشى .

الحشرة

ما بين ردفيك
الى قدميك
أريد أن أقوم برحلة طويلة .

إننى أدقُّ من حشرة صغيرة

أسير على هذه التلال
التي لها لون الشوفان
وعليها آثار رقيقة
أنا وحدي الذي أعرفها

سنتيمترات محترقة

ومنظورات شاحبة

هنا جبل

لن أخرج منه أبدا .

آه لهذا الطحلب الهائل !

وفوهة بركان

وزهرة من النيران الرطبية .

وأنزلق فوق ساقيك

ناسجا دورة حلزونية

أو نائما وسط الرحلة

فأصل الى ركبتيك

المستديرتين الصلبتين

كأنما أبلغ الذرى الصعبة

لقارة باهرة

وأتعثرنحديقدميك
نحوالفتحاتالثمانى
لأصابعكالحادة
البطيئة،شبهالجزرية
وأسقطمنها
الىخلاءالملاءةالبیضاء
ناشدا
فىموجةمنالعمىوالنهم
خطوطوعائك.

سورات الغضب

الحب

ماذا بك ؟ ماذا بنا ؟

ما هذا الذى يحدث لنا ؟

إن حبنا حل سميك

يربط ما بيننا فيشخننا جراحا

فإذا رغبنا الخروج من جراحنا ،

الانفصال ،

فإنه يعقد لنا عقدة جديدة

ويحكم علينا أن ننزف سويا

وأن نحترق سويا .

ماذا بك ؟
أتطلع إليك
ولا أرى فيك
سوى عيين ككل العيون
وفم ضائع
مثل آلاف الأفواه التي لثمتها
بل أجمل منه
وجسد كالأجساد التي انزلت تحت جسد
دون أن تخلّف وراءها أى ذكرى .

ولكم كنتِ تعبرين الدنيا فى خواء
كأنك جمره لها لون الحبطة
دونما هواء ، دونما صوت ، دونما مضمون
لقد بحثتُ فيك عبثا
عن عمق لذرّاعي

نحفران فيه دونما هواده نحت الأرض

تحت جلدك ، تحت عينيك ،

لا شئ

تحت نهديك المضاعفين

تيار من الاتساق البللورى

لا يدري لماذا ينساب منشدا

لماذا ، لماذا ، لماذا ،

يا حببتى ، لماذا ؟

وحين أكون فى مواجهتك

لا ينتابنى أى شعور بالغيرة

عليك

قصيدة جديدة دائما

تعالى وأنت تحملين على ظهرك

رجلا

تعالى وقد شبكتِ مائة رجل

في شعرك

تعالى وأنت تحملين ألف رجل

ما بين صدرك وقدميك

تعالى كالنهر

يزخر بالفرقى

ويلتقى بالبحر الهائج

والزبد الأبدى

والزمن .

احضريهم جميعا

حيث أنتظرك

فسنكون وحدنا دائما

سنكون دائما أنا وأنتِ

وحيدين على الأرض

لنبدا الحياة معا

العشرة

إذا عثرتُ قدمك مرة أخرى
سأبترها .

إذا قادتك يدك
إلى درب آخر
سينخر فيها العفن .

إذا أنت أخذتِ روحك مني
ستهلكين

حتى إذا كنتِ تحيين .

ستظلين ميتة

أو ظلا من الظلال

تمشين على الأرض بدوني

السؤال

يا حبيبتي

لقد دمركِ سؤال .

لقد عدتُ اليكِ

من رحلة عدم اليقين الشائك .

أحبك قويمة

كالحسام أو كالطريق .

ولكنكِ تصرين

على الإبقاء على ركن من الظل

لا أريده .

يا حبيبتي ،

افهميني

إننى أحبك كللك

من عينيكَ الى قدميك

أحب أظافرك ودواخلك

كل البهاء الذى تشيرين .

إنه أنا يا حبيبتي

من يقرع بابك .

ليس طيفا

ليس الشخص الذى توقف سابقا

أمام نافذتك .

إنى أنزع بابك جانبا

وأدخل الى حياتك كلها :

آتى لأعيش فى روحك .
ليس لك من الأمر شئ معى .

عليك أن تفتحى بابك
مقابل بابى المفتوح
عليك أن تطيعينى
عليك أن تفتحى عينيك
كيما أسبر غورهما ،
عليك أن ترى كيف أسير
بخطواتى الثقيلة
فى كل الدروب
الى حيث كانت عيناك فى انتظارى
مغمضتين .

إني لك ،
غير أنني لست عابرا أو سائلا
إنما أنا مالكك ،
الذي كنت ، تنتظرين
وأنا أدخل الآن
إلى حياتك ،
كيلا أخرج أبدأ بعد ذلك
يا حبي ، يا حبي ، يا حبي ،
كيما أبقى إلى الأبد .

المسرفة

لقد اخترتك من بين كل النساء
كيما تعيدىن على الأرض
رقصات قلبى مع عيدان القمح
أو الحروب التى يخوضها دونما حدود
عندما تدعوه الضرورة الى ذلك .

وإنى لأسألكِ

أين ابنى ؟

ألم أكن أنتظر ذاتى فىكِ

وأُتعرّف على نفسي

وأقول لها :

ناديني كيما أظهر في الأرض

لأواصل حروبكِ ورقصاتكِ ؟

أعيديني الى ابني

هل نسيته على أبواب السرور

أيتهى العدوّة المسرفة

هل نسيتهِ أنكِ جئتِ الى ذلك الموعد

أهمُّ موعد ،

الموعد الذي سنواصل فيه كلانا

وقد توحدنا معا ،

الكلام من فمكِ يا حبيبتي ،

بكل ما لم نستطع البوح به من قبل ؟

حين أرفعكِ معي
في موجة من النيران والدماء
وتتضاعف الحياة فيما بيننا
تذكرى أن ثمة شخصا يهتف بنا
كما لم يهتف بنا أحد من قبل
وأنا لا نرد
بل نبقي وحيدين
نهاب الحياة التي ننكرها .

أيتها المسرفة
افتحي الأبواب
ودعي العقدة العمياء في قلبك
تنحلي وتطير بدمي ودمك
فوق أنحاء العالم !

الإساءة

لقد أسأتُ اليكِ يا عزيزتى
لقد مزقتُ روحك .

افهمينى .

الجميع يعرف من أكون

بيد أن "من أكون" تلك

هى بالاضافة الى ذلك

بالنسبة لكِ

رجل .

إنى أتردد فيك ، وأسقط
وأقوم ثانية وأنا أتقد بالنيران
وأنت ،

من بين الكائنات جميعا
لك الحق أن ترينى فى أوقات ضعفى .
ويدك الصغيرة

المجبولة من الخبز ومن القيثاره
يجب أن تلمس صدرى
حين يبرز الى الأمام للعراك .

من أجل ذلك
فأنا أنشد فيك الحجر الصلب
وأدفع يديَّ الخشتين فى دمك
باحثة عن الصلابه والعزم
وعن العمق الذى أنا بحاجة اليه
فإذا أنا لم أجد

سوى ضحككِ المعدنية
إذا لم أجد شيئا
أستند عليه فى خطواتى الخشنة ،
يا معبودتى ،
فتقبلى حزنى وغضبى ،
ويديَّ المعاديتين
تدمران منكِ حذا صغيرا
كيما تنهضين بعد ذلك من الصلصال
وقد جُبلتِ خلقا جديدا
من أجل صراعاتى

البئر

تعوصين أحيانا
تسقطين فى قاع الصمت
فى هوة غضبك المتكبر
ولا تستطيعين العودة إلا بالكاد
إذ لا تزالين تحملين ما عثرت عليه
فى أعماق وجودك .

أى حبيبتي

ماذا تجدين فى بئر المغلق ؟

طحالب ، مستنقعات ، صخور ؟
ماذا ترين عن طريق عيون عمياء
مريرة وجريحة ؟

يا حياتى
لن تجدى فى هوة البئر
الذى فيه تسقطين
ما أدخره أنا لك فى الذرى :
باقية من الياسمين المتوج بقطرات الندى
وقبله أكثر عمقا من الهوة التى فيها تسقطين .
لا تخافى منى
لا تسقطى مرة أخرى فى وهدة ضعيتك
انفضى عنك كلماتى
التي خرجت لتجرحك
ودعيها تطير من النافذة المفتوحة

وهي ستعود لي كيما تحرجني
دون أن توجهيها أنتِ ناحيتي
لأنها كانت مثقلة بلاحظة قاسية
وستصبح تلك اللحظة
عزلاء من السلاح في صدري

ابتسمي لي أيتها الوضوءة
إذا ما أصابك فمي بالجراح .
ما أنا براعٍ حنون
كما تقص الحكايات الخيالية
إن أنا إلا حطاب ماهر
يشاطرِكِ الأرض والنبذ وأشواك الجبال .
امنحيني حبك ، أنتِ ، ابتسمي لي ،
ساعديني أن أكون محمودا .

لا تجرحى نفسك فى
فلا طائل من وراء ذلك
ولا تجرحينى
فإنك إنما ستجرحين نفسك .

الحلم

بينما كنت أمشي فوق الرمال

قررت أن أهجركَ .

كنت أخطو فوق طين غامق

يرتجف

وبينما كنت أغوص فيه تم أخرج منه

قررت أن تخرجني مني ،

وأنك كنت تثقلين عليّ كالحجر القاطع ،

وبلورتُ فقد أُنك خطوة خطوة :

استئصالك من الجذور

واطلاقك وحيدة فى الهواء

وفى تلك اللحظة ،

يا حبيبة قلبى ،

كان ثمة حلم مزعج

يفطيكى بأجنحته المرعبة

كنتِ تشعرين أن الطين يتلعلك

وتناديننى فلا أهرع اليكِ

وكنتِ تفوصين ، دونما حراك ،

دون مقاومة

الى أن غرقتِ فى الرمال الناعمة .

وبعد ذلك

تلاقى قرارى مع حلمكِ

وخرجنا مرة ثانية
من الصدع الذى كان يحطم روحينا
خرجنا مرة ثانية ،
ناصعين ، عاريين ،
غارقين فى حب أحدنا الآخر ،
دونما حلم ، دونما رمال ،
مكتملين متوهجين
وقد بصمت علينا النيران بخاتمها .

لو تنسيننى

أريدك أن تعرفى

شيئا واحدا

إنك تعرفين هذا الأمر :

إذا أنا تطلعت الى القمر البلورى

الى الفنن الأحمر

الى الخريف المتباطئ على نافذتى

إذا أنا لمست الرماد

الذى لا يمكن لمسه

وهو الى جوار النيران

أو عِرق الخشب المتغصن
كل هذا يحملني اليك
كما لو أن كل ما في الوجود :
العطر ، النور ، المعادن ،
هي سفائن صغيرة
تبحر نحو جزائرك
التي تنتظرني .

حسنًا ، والآن :

إذا أنتِ توقفتِ عن حبي شيئًا فشيئًا
فسأَتوقف أنا عن حبك شيئًا فشيئًا

وإذا أنتِ نسيتني فجأة
فلا تبحثي عني

فسأكون قد نسيتك بالفعل .

وإذا أنت ظننتِ

أن رياح الرايات التى تعبر حياتى

طويلة ومجنونة

وقررت أن تتركينى وحيدا

على شاطئ القلب

الذى تنبت فيه جذورى

فتذكرى أن فى ذلك اليوم ،

وفى تلك الساعة ،

سأرفع ذراعيّ

وستخرج جذورى

باحثة عن أرض أخرى لها .

لو أن كل يوم
وكل ساعة ،
تشعرين أن مصيرك هو أنا ،
فنى عذوبة لا شبيه فيها ؛
لو أن فى كل يوم
تصعد زهرة الى شفئك ،
بحثا عنى ،
آه يا حبيبتي ، يا صاحبتى ،
فستستعر فى نفسى مرة أخرى
كل هاته النيران
فلاشئ ينطفى فى نفسى
ولا شئ يطفى النسيان
فحبى يتفدى على حبك ،
يا حبيبتي ،
وسيكون بين ذراعيك ما حييت
دون أن يخرج من بين ذراعي .

النسيان

الحب كله فى كأس

كأس رحيب رحابة الأرض ،

الحب كله

مغلف بالنجوم وبالأشواك

أعطيتك إياه

ولكنك مشيت على النار

بقدميك الصغيرتين وكعبيك الملطخين

فأخمدته فى قلبى .

آه يا لحبي العظيم
وحبيبتى الصغيرة !

إنى لم أكف أبدا عن النضال ،
لم أتوان فى اسراعى نحو الحياة ،
نحو السلام ، نحو الخبز للجميع
ولكنى رفعتكِ عاليا بين ذراعى
وسمّرتكِ الى قبلاتى
ونظرت اليكِ
كما لن تنظر عينا بشرا مرة أخرى .

آه يا لحبي العظيم
وحبيبتى الصغيرة !
أنت لم تدركى آنذاك مدايا
واختلط عليكِ
الرجل الذى ضحى من أجلكِ

بالدم والحنطة والماء ،

مع الحشرة الضئيلة

التي سقطت على رءائك .

آه يا لحبي العظيم

وحبيبتي الصغيرة !

لا تنتظري أن أعود فأنظر اليك

على البعد

ابقِ مع ما خلفته لكِ ورائي

تجوّلي مع صورتى المخونة .

أما أنا

فسأواصل سيرى

فاتحاً طرقاً عريضة ضد الظلال

ممهداً الأرض

موزعا النجوم
على من سيأتى بعدى .
ابق على الدرب .
لقد حل الليل بالنسبة لك
ولربما عدنا للالتقاء
مع الفجر مرة ثانية .

آه يا لحبى العظيم
وحبيبتي الصغيرة !

الفتيات

أنتن أيتها الفتيات

اللاشى يسعين وراء الحب العظيم

الحب العظيم الرائع

ماذا جرى لكن أيتها الفتيات ؟

ربما كان الأمر

هو الزمن ، الزمن .

لأنه ها هو الآن

الحب العظيم
انظرن كيف يتهادى
ساحبا معه الأحجار السماوية
مدمرا الأزهار والأوراق
فى صخب الزبد المضطرم
فى أحجار عالمكن كافة
برائحة المنى والياسمين
الى جوار القمر الدامى !
والآن ،

ها أنتن تلمسن الماء
بأقدامكن الصغيرة
بقلبكن الصغير
ولا تعرفن ماذا تفعلن !

إن بعض الترحالات الليلية

وبعض الأماكن
وبعض النزعات المشوقات
وبعض الرقصات التي لا عواقب لها
أفضل لكن من إكمال المشوار !

فلتموتن من البرد

أو من الشك

فأنا ،

بخطواتي العريضة

سوف أعرثر عليها

في داخلكن

أو بعيدا عنكن

ولسوف تعثر هي على

هي التي لن تخشى مواجهة الحب

هي التي ستنصهر معي

في الحياة أو في الموت !

كنت تأتين

إنك لم تجعليني أتألم
وإنما جعلتيني أنتظر

تلك الساعات المتشابكة
الزائفة بالآفაცი
حين تسقط منى الروح
وأختنق

كنت تأتين ماشية

كنت تأتين عارية مخموشة

كنت تصلين الى مخدعى دامية

يا عروستى

وحينئذ ،

كنا نمشى طوال الليل

نائمين

وحين نستيقظ

تصبحين سالمة جديدة

كما لو أن رياح الأحلام الكثيبة

قد خلعت على شعرك من جديد

نيرانا ولهبا

وغمرت جسدك فى حبات الحنطة والمضرة

فأحالته لؤلؤا منشورا .

إنى لم أتألم ، يا حبيبتي

وإنما انتظرتُ وحسب .

كان عليك أن تبدلي قلبك
ونظرتك
بعد أن لمست بيدك
منطقة البحار العميقة
التي أوصلك إليها صدري .
كان عليك أن تخرجي من المياه الصافية
كنقطة رفعتها عاليا
موجة ليلية .
يا عروستي
كان عليك أن تموتي وتولدي
وانتظرتك .
أنا لم أتألم وأنا أبحث عنك
فقد كنت أعلم أنك سوف تأتين
إمرأة جديدة فيها كل ما أعبد
تخرج من ثنايا المرأة التي لم أعبد

بعينيكِ ويديكِ وثغركِ
ولكن بقلب آخر

طلع فجره الى جوارى
كأنما كان هناك دائما
ليبقى معى الى الأبد .

حيوات

الجبل والنهر

فى وطنى ، هناك جبل

فى وطنى ، هناك نهر

تعال معى

يصعد الليل الى الجبل

ويهبط الجوع الى النهر

تعال معى

من هم الذين يتألمون ؟
لا أعرف . بيد أنهم جزء مني

تعال معي

لا أدرى . بيد أنهم ينادونني
ويهتفون بي : " إننا نتألم " .

تعال معي

ويهتفون بي : " إن شعبك ،

شعبك التعس

ما بين الجبل والنهر

يطحنه الجوع والحزن

لا يريد أن يناضل وحيدا

إنه ينتظرك أيها الصديق

أواه لك ، يا من أحب ،
أيتها الصغيرة
يا حبة الحنطة الحمراء .

سيكون النضال مريرا
وستكون الحياة مريرة
ولكنك ستاتين معي

الفقر

إذن ، أنت لا تريد أن .

يصيبك الفقر بالذعر

لا تريد أن تذهب إلى السوق

بحذاء ممزوق

وتعودين في نفس ردائك القديم .

يا حبي :

إننا لا نحب البؤس

كما يريد لنا الأغنياء

إننا سنخلعه

كما نخلع خرسا مسوُسا

ينخر حتى الآن في قلب الأسنان .

بيد أننى لا أريدك أن تخافى منه

فإنه إذا اقترب من مسكنك

بسببى ،

إذا طُرد الفقر أحدىتك الذهبية

الى الخارج

فلا تدعيه يطرد الى الخارج

ضحكتك التى هى زاد حياتى .

وإذا أنت لم تستطيعى دفع الإيجار

فاخرجى للعمل ثابتة الخطى

واذكرى ، يا حبيبى ،

اننى أرقبك

واننا معا
نكوّن أكبر ثروة
تجمعت فوق الأرض .

الحيوات

آه, ...

لكم أحس بك, أحيانا
يعتصرك, القلق وأنت معى
أنا المنصور بين الرجال .

لأنك, لا تعرفين
أن آلافا من الوجوه التى لا ترينها
كانت منصورة معى
وأن آلافا من الأقدام والقلوب

قد سارت معى
وأنتى لا أكون
وأنتى لا أوجد
بل أنا واجهة لمن يمضى معى وحسب
وأنتى الأقوى
لأننى أحمل فى داخلى
لا حياتى الصغيرة فحسب
بل كل الحيوانات
وأنا أسير قدما الى الأمام
لأن لى آلافا من العيون
وأنا أضرب الصخور بقوة
لأن لى آلافا من الأيدى
وصوتى يصل الى كل الضفاف
فى كل البقاع
لأنه صوت كل من لم يتكلموا

كل من لم يغنّوا
والذين يغنّون الآن
بهذا النغم
الذي يطبع قبلة' على شفّتيك .

الراية

انهضى معى .

ليس من أحد أكثر رغبة مى

فى البقاء على الوسادة

التي يبعى جفناك

أن يغلقا الباب

بين العالم وبينى

هناك أيضا

أبغى أن أدع دمي ينام

ملتما بعدوبتك .

ولكن ، انهضى ،
أنتِ ، انهضى ،
ولكن ، انهضى معى
ولنخرج سويا
للنصال بدا ليد
ضد شبك الشر
ضد النظام الذى يوزع جوعا
ضد منظومة الشقاء
هيا بنا ،
وأنتِ ، يا نجمتى ، الى جوارى
مولودة حديثا من طينتى
وقد عثرتِ حقا على النبع الخفى
وستكونين الى جوارى
وسط النيران
بعينيكِ الجسورتين
ترفعين رايتى عاليا .

حبیبة الجندي

فی وسط معارك الحرب
حملتكِ الحیاة
أن تكونی حبیبة الجندي .

كُتِبَ علیكِ أن تسیری وسط النيران
بثوبك الحریری العتیق
وأصابكِ المرصعة بالجواهر الزائفة .

تعالی هنا أیتها الشریدة

تعالى واشربى على صدرى
الندى الأحمر .

لم تريدى أن تعرفى الى أين تذهبين
فقد كنت رفيقة الرقص
ولم يكن لك حزب ولا وطن .

والآن ،
وأنت تسيرين الى جوارى
ترين أن الحياة تسير معى
وأن الموت يكمن وراءها .

والآن ،
ليس بإمكانك مرة أخرى
أن ترقصى فى القاعة

بثوبك الحريري .

سوف يبلّى حذاؤك

وولكنك ستتطاولين أنت تسيرين .

عليك أن تسيرة على الشوك

وتخلّفين وراءك نقاطا صغيرة من الدم .

قبليني مرة أخرى يا حبيبتي

نظفي تلك البندقية أيتها الرفيقة .

ليست النيران وحدها

آه ، أجل ، إنى أذكر

آه ، عينيك المنفلقتين

كما لو يملأهما من الداخل

نور أسود .

جسدك كله

كاليد الممتدة

كفصن قمرى أبيض

والنشوة ،

حين يقتلنا شعاع برق

حين يصيبنا خنجر بالجراح فى جذورنا

ونور يضرب ، هرفا
وحين نعود شيئا فشيئا
الى الحياة مرة أخرى
كأنما نتبجس من أعماق المحيط
كأنما نعود من السفينة الغارقة
مشخين بالجراح
وسط الصخور والطحالب الحمراء

ولكن ،

ثمة ذكريات أخرى
لا زهور الحرائق فحسب
بل براعم صغيرة
تظهر فجأة
حين أكون فى القطارات
أو أسير فى الشوارع .

أراكِ تغسلين مناديلى
وتنشرين على النافذة
جواربى الممزوقة .
أرى هياتكِ
التي يطفئ عليها السرور الكامل
كأنها ومضة من اللهب
دون أن تدمركِ .
مرة أخرى
أيتها المرأة الصغيرة
لكل الأيام
مرة أخرى كائن إنسانى
إنسان متواضع
فقير فى عزة
كما عليكِ أن تكونى
كي تصبحى

لا تلك الزهرة السريعة
التي يُذبلها رماد الحب
بل الحياة كلها
بالصابون والإبر
بالرائحة التي أحبها
للمطبخ الذي ربما لن يتوهر لنا أبدا
والذي ستكون فيه يداك
بالنسبة لي
بين البطاطس المقلية
وثغرك يغنى في الشتاء
إلى أن نصل المشويات
هما السعادة الدائمة على الأرض

آه يا حباتي
لنست البران وحدها

هي التي تحترق فيما بيننا

بل الحياة كلها ،

القصة البسيطة

الحب البسيط

لأمراة ورجل

مثل كل الآخرين .

الميتة

لو أنكِ فجأة لم تعودى موجودة
لو أنكِ فجأة لم تعودى على قيد الحياة
سأواصل أنا حياتى

إنى لا أجسر
لا أجسر على كتابة هذا
لو أنك تموتين

سأواصل أنا حياتى

لأنه ،

حيث لا يكون ثمة صوت إنسان ،
هناك صوتى .

حيث يُرجم السود
لا يمكن أن أكون ميتا .
حيث يدخل إخوتى السجون
سأدخل أنا معهم .

وحين يصل النصر ،
لا نصرى أنا بل النصر الأعظم ،
يجب على أن أتكلم
حتى لو كنت أخرس :
سأراه يصل
حتى لو كنت أعمى .

كلا ، سامحيني .
إذا لم تكونى على قيد الحياة ،
لو أنك ، يا حبيبتي
يا حبي ،
لو أنك مت
ستسقط كل أوراق الشجر على صدرى
ستمطر الدنيا على روحى ليلا ونهارا
سيحرق الثلج قلبى
سأسير مع البرد والنيران والموت والثلج
سترغب قدمائى أن تسيرا الى حيث ترقدين
ولكن
سأواصل حياتى
لأنك قد أحببتنى ،
فوق كل شئ ،
عنيدا

ولأنك ، يا حبيبتي ،
تعرفين أنني لست رجلا واحدا فحسب ،
بل إنني جميع الرجال .

أمريكا الصغيرة

حين أتطلع الى شكل أمريكا على الخريطة
أراكِ أنتِ يا حبيبتي :
مرتفعات النحاس على رأسكِ
ونهداك هما الحنطة والثلج
وخصركِ النحيل
أنهارٌ جارية نابضة
وتلال ومروج عذاب
وتُنهي قدمكِ
جغرافيتهما المحبولة من النضار المسبوك
فى برد الجنوب .

يا حبيبتي ،
حين المسك
لا تستكشف يداي مباعجك فحسب
بل أفنانا وأراضى ،
فواكه ومياها ،
الربيع الذى أحب ،
قمر الصحراء ،
صدر الحمامة البرية ،
ونعومة الأحجار
التي صقلتها مياه البحر أو الأنهار
وكثافة الأيكة الحمراء
حيث العطش والجوع يكمنان .
وهكذا ،
يرحب بى وطنى الرحيب
أمريكا الصغيرة

فى جسدك .

وأكثر من ذلك :

حين أراك مضطجعة

أرى فى بشرتك

فى لونك الشوفانى

هوية ودادى ،

لأنه من فوق كتفيك

ينظر لى قاطع عيدان قصب السكر

فى كوبا المتوهجة

وقد غطته حبات العرق السوداء

ومن عند جيدك

يتغنى لى بأسرارهم

صيادون يرتجفون فى بيوت الضفة الرطية

وهكذا ، فعلى طول جسدك ،

يا أمريكا الصغيرة المعبودة

تقطع الأرض والشعوب

حبل قبلانى

وحيئنذ

لا يسعل جمالك النيران فحسب ،

النيران النى نتوهج فيما بننا

دون أن ننطفئ ،

بل هو أيضا ينادى

مع حبك

ويهبى عبر حياتك

حبانى التى أفتقدها

وبضفى الى مذاق حبك

الصلصال ،

وفلسة الأرض التى ننتظرى

أنشودة وإنباتات

مذاق فمك ، لون بشرتك

بشرتك ، فمك ،

فاكهتى

التي خرجتُ بها

من تلك الأيام الخاطفة

قولى لى ،

على الدوام
عبر السنين وعبر الترحال
وعبر الأقمار وعبر الشمس
والأرض والنواح والمطر والفرح ،
أم أنها تخرج الآن فحسب
من وسط جذورك
كما يُخرج الماء من الأرض اليباب
إنباتات لا عهد لها بها
أو كما يصنّعد مذاق الأرض
الى شفاه الجرة المنسية ؟
لا أعرف ، لا تقولى لى ، أنت لا تعرفين .
لا أحد يعرف تلك الأشياء .
ولكن ،
حين أدنو بكل حواسى
الى نور بشرتك

فإنك تختفين

تذوبين كرائحة فاكهة حمضية

وحرارة الطريق

ورائحة الذرة إذ ينفرط عقده

وزهر عسل الأصيل الصافي

وأسماء الأرض المغبرة

والعطر المطلق لوطننا :

المغنوليا والأكمة ،

الدم والدقيق ،

وخبب الجياد ،

وقمر الضيعة المغبر ،

والخبز الطازج :

آه ،

كل شيء يعود من بشرتك الى فمي

يعود الى فؤادي

يعود الى جسدى
وأعود معك
لأكون الأرض التى تكون نينها :
إنك فى نفسى الربيع العميق
أعود معك
لأعرف فىك كيف أنمو .
سنواتك الغضة
التي كان يجب أن أشعر بها
تنمو حولى كالأغصان
الى أن ترى
كيف أن الشمس والأرض
قد جعلتك من نصيب يديّ الحجريتين ،

الى أن تجعلى التبيذ يغنى فى عروقى
عنبه' عنبه

لقد أعانتنى الرياح أو الحصان
بخروجهما عن مسارهما
أن أعبر من خلال طفولتك
أنت التى شاهدت السماء ذاتها كل يوم
وطين الشتاء الأسمر ذاته
وأغصان أشجار البرقوق التى لا نهاية لها
وحلاوتها ذات اللون القرمزى .

كيلومترات قليلة من الليل فحسب

والمسافات المبتلة للفجر فى الريف

وحفنة من الأرض تفصل بيننا ؛

الجدران الشفافة التى لم نعبها

الى أن وضعت الحياة بيننا بعد ذلك

كل البحار وكل الأرض

ونقترب من بعض رغم المسافة
يبحث أحدها عن الآخر خطوة خطوة
من محيط الى آخر ،
الى أن رأيتُ السماء تحترق
وشعرك يطير طيرانا فى النور
وهرعت الى قبلاى
بنيران شهاب مطلق السراح
وحين انصهرت فى دماى
تلقيتُ فى فمى
حلاوة البرقوق البرى
لطفولتنا
وضممتك الى صدرى
كما لو أننى قد استعدتُ
كل الأرض وكل الحياة .

أى فتاقى المتوحشة
كان علينا أن نستعيد الزمن
وأن نمشى الى الخلف
فى بُعد حياتينا
قبلة' قبلة
نجمع من مكان ما منحناه دونما بهجة
ونكتشف فى مكان آخر
الدرب الخفى
الذى راح يدنى قدميك الى قدمي
وبهذا ، عبر فمى ،
ترين مرة أخرى النبتة غير المكتملة
لحياتك
تمد جذورها

نحو قلبي الذي ينتظرك .

وتنضم الليالي

واحدة وراء أخرى

فيما بين مدتنا المتباعدة

الى الليلة التي تجمع بيننا .

ونور كل يوم ،

باشتعاله أو بهدوئه

يهب نفسه لنا

، فيهرب من أسر الزمن ،

وبهذا

يكشف الستار عن كنزنا

في الظلال أو في الضوء

ومن ثم

تطيع قبلاننا القنلات على وجه الحياة :

ويسطم الحب كله في حبنا

وينتهى العطش كله فى عناقنا
ها نحن الآن أخيرا وجهها لوجه
لقد التقينا
لم نحسر شيئا
لقد جاس أحدنا بالآخر
شفة' بشفة
ولقد تغبرنا ألف مرة
بيما الموت والحياة
وكل ما حملناه معنا
ألقيناه فى البحر
فأصبح كالنياشين المهجورة ،
وكل ما تعلمناه
لم ينفعنا فى شئ
فبدأنا من أول وجدديد

موت وحياة .
وها نحن هنا باقيان
طاهران ،
بالطهر الذى خلقه
أكثر رحابة من الأرض
التي لم تضيّعنا ،
خالدان
كالنار التي ستستعر
طالما كانت هناك حياة .

حين أصل الى هنا تتوقف يداي
ويسأل أحدهم : قل لى
لماذا ، كما الموجات على الشاطئ المتفرد .

تروح كلماتك وتجئ الى جسدها ؟
أهى الشكل الوحيد الذى تحبه ؟
وأجيب : إن يدى " لا تكبلان منها
ولا تهدأ قبلاتى
فلماذا أسحب الكلمات
التي تعيد أثر لمستها الحبيبة
الكلمات التي تنفلق دونها جدوى
كالماء فى الشبكة
سطح أنقى موجة حياة وحرارتها ؟
وأنت ، يا حبيبى ،
إن جسديك ليس هو فحسب
الوردة التي تتطاوّل فى الظلال
أو تحت نور القمر
ليس فحسب حركة أو حرقا ،
عملا دمويا أو ورقة من نار ،

ولكن بالنسبة لى
فأنتِ التى أحضرتِ الى أرضى
الطين الذى يذكرنى بطفولتى ،
موجات الشوفان ،
القشرة الدائرية للفاكهة الداكنة
التي انتزعتها من الغابة ،
رائحة الخشب والتفاح ،
لون المياه المستكنة
حيث تساقط فاكهات خفيات
وأوراق عميقة .
آه يا حبيبى
إن جسديك يتطاول ،
كالخط الصافى فى الكأس البللورية ،
من الأرض التي تعرفنى .

وحين عثرتُ عليكِ، مشاعري

استجبتِ بالنبضات

كأنما تتساقط بداخلك

الأمطار والحبات .

آه ، فليقولوا لي

كيف أستطيع أنا أن أُلغيكِ من حياتي

وأن أمنع يديَّ من أن تمسكا بكِ .

وأنزع النيران من كلماتي

أيتها العذبة

أريحي جسدي في تلك الخطوط

التي تدين لكِ بأكثر مما تعطيني لمسائكِ ،

عيشي في هذه الكلمات

ورددى فيها العذوبة والنيران

ارتعشي وسط حروفها

ونامي في اسمي

كما نمت من قبل فى قلبى ،

وهكذا غدا .

ستحفظ كلماتى

أغوار شكلك ،

ومن سيسمعها يوما ما

سيتلقى هبةً من رياح القمح وشقائق النعمان

وسيبقى هناك جسد الحب

لا يزال يتنفس على وجه الأرض

خيط القمح والمياه

البللور والنيران

الكلمة والليل

العمل والغضب -

الظل والحنان ،

قمتِ أنتِ , رويدا رويدا

بخياطتها فى جيوبى المثقوبة

ولم تقومى فحسب بانتظارى يا حبيبتى

فى المناطق الراجعة

حيث يتوحد الحب والاستشهاد

كأنهما ناقوسان من الجمر المتوهج ،

بل وأيضا

فى أدق وأصغر الواجبات العذاب .

إن زيت إيطاليا الذهبى

قد صاغ هالتك ,

فأصبحت , قديسة المطبخ والخياطة

وفى غنجك , الصغير

الذى يتمهل أمام المرآه

وبيدك ذات الأوراق
التي يحسدك عليها الياسمين
تغسلين الأواني وتغسلين ملابسى
وتضمدين جراحى .
أى حبيبتى ،
لقد وصلت الى حياتى
جاهزة كشقائق النعمان
وكالمحارب الجسور :
إن البهاء الحريرى
أعبره مع الجوع والعطش
الذين جلبتهما الى هذا العالم
من أجلكِ فحسب .
ومن تحت الحرير
استبانة الفتاة الفولاذية
التي ستصارع الى جوارى

يا حبي ، يا حبي ،

ها هنا نلتقى

حرير وحديد

اقتربى من شفتيا .

ولأن الحب

يحارب لا فى زراعاته المحترقة فحسب

بل وأيضا فى أفواه الرجال والنساء ،

فسأنتهى بأن أقاتل

أولئك الذين يريدون أن يزرعوا

زهرتهم المقيتة

ما بين صدرى وعبيرك الفواح .

لن يستطيعوا أن يقولوا لك

أسوأ مما قتلته أنا لك من قبل

يا حبيبتي .

لقد عشتُ في المروج قبل أن أعرفك

ولم أنتظر أن يأتى لى الحب

بل كنتُ فى وسط الشجيرة

وهجمتُ على الوردة

ماذا بوسعهم أن يقولوا

أكثر من ذلك ؟

لستُ طيبا أو سيئا

بل أنا مجرد إنسان ،

وسيضيفون عندذاك

ما يحدق بحياتى من أخطار

وأنتِ تعرفينها

وشاركتينى فيها بكل حماس .

حسنا .

إن تلك الأخطار هي أخطار الحب

الحب الكامل

تجاه الحياة

تجاه كل الحيوانات

فإذا حلب ذلك الحب

الموت أو السم

فإنى واثق أن عينيك الواسعتين

حين أغمرهما بقبلاتي

سينفلقان في فخر

في فخر مزدوج

يا حبيبتي

فخرك وفخرى .

بيد انهم سيسعون أولا الى أذنى

كى ينسفوا البرج

برج الحب العذب القاسى

الذى يربط بيننا

وسيقولون :

إن تلك التى تحب

ليست بالمرأة المناسبة لك

فلماذا تحبها ؟

إننا نعتقد أن بوسعك

العثور على من هى أجمل منها

وأكثر جدية وأكثر عمقا

وأكثر أشياء أخرى

أنت تعرف ما نعى ...

انظر كيف هى ضئيلة

ورأسها كيف هو

وانظر الى ملابسها ،

وهلم جراً وهلم جراً .

وأنا أقول ما يلي .
إني أحبك , كما أنت
بملابسك , هذه
وهيئة شعرك ,
وطريقة ابتسامتك ,
خفيفة كالمياه
مياه النبع الصافي فوق الصخور
أحبك , هكذا , يا حبيبتي .
أنا لا أطلب من الخبز أن يعلمني شيئاً
وإنما أطلب منه ألا ينقصني
في أي يوم من أيام حياتي .
وأنا لا أعرف شيئاً عن الضوء
مم يأتي أو الى أين يذهب
وإنما أريده فحسب أن ينير طريقي

وأنا لا أطلب تفسيراً من الليل
بل أنتظره كيما يلفنى بردائه .
وهكذا أنت :
خبزا وضوءاً وظلاً .
لقد دخلت حياتى
بما حملته معك ،
وكنت فى انتظارك
مجبولة من الخبز والنور والظلال
وهكذا أنا فى حاجة اليك
وهكذا أنا أحبك
أما أولئك الذين يودون
أن يسمعوا غدا ما لن أقوله لهم
فليقرأوه ها هنا
وليتقهقروا اليوم
لأن وقت تلك الحجج مازال مبكراً .

غدا

سوف نعطيهم فحسب

ورقة من أوراق شجرة حبنا

ورقة

ستسقط على الأرض

كأنما خلقتها شفتانا

كأنها قبله تسقط

من ذُرانا التي لا تُقهر

كيما تبين

نيران حبنا الحقيقي

وعذوبته

أنشودة العرس

هل تذكرين يا حبيبتي
حين وصلنا أخيرا
وسط الشتاء
الى الجزيرة ؟
كان البحر يرفع الينا
كأسا من البرد
وكانت عرائش اللباب
تهمهم على الجدران
وتُسقط أوراقا عتماء

في خطى طريقنا
وكنت أنت أيضا
ورقة صغيرة
ترتجفين فوق صدري
وقد أطاحت بك رياح الحياة
الى ذلك الموضع .
ولم أرك في بادئ الأمر
لم أعرف أنك تسيرين الى جوارى
واتحدث مع خيوط دمي
وتكلمت من خلال فمي
وازدهرت معي .
هكذا كان حضورك الغافى
ورقة أو فننا خفيا لا يرى
وعمر قلبي فجأة
بالثمار وبالاصوات .

وسكنت البيت
الذي كان ينتظرك قاتما
فأضأت المصابيح عندذاك
هل تذكرين يا حبيبتي
خطواتنا الأولى في الجزيرة ؟
كانت الأحجار الرمادية تعرفنا
وزخات المطر
وصيحات الريح في الظلال
ولكن النيران كانت حديثنا الوحيد
فقد احتضنا ألى جوارها
الحب الشتائى العذب
بأذرعنا الأربع
ورأت النيران
قبلتنا العارية
تتناهى حتى تصل الى النجوم الخفية

ورأت مولد إلام وموته

كالسيف المحطوم

على صخرة الحب الذي لا يقهره قاهر .

أتذكرين .

يا من تنامين في ظلى .

كيف كان الحلم

يتناول فيك

من نهديك العاريين

مفتوحا بقبتيه التوأمين

تجاه البحر

تجاه رياح الجزيرة

وكيف كنت أنا أبحر في أحلامك

طليقا

في البحر وفي الرياح

وكنت مع ذلك مقيدا غاطسا

فى اتساع زرقه عذوبتك ؟

آه أيتها العذبة

يا عذبتى .

لقد غيّر الربيع جدران الجزيرة

وانبجست زهرة

كقطرة الدم البرتقالى ،

وعندها

أطلقت الألوان كل أثقالها الصافية

واستعاد البحر شفافيته

وأبرز الليل فى السماء

عناقيده

وهاهى كل الأشياء تتهامس

باسم حبنا

حجرا حجرا ،

نطقت اسمنا وقبلتنا .

وتجاوبتُ الأصدااء فى الجزيرة

ذات الصخور والطحالب

فى خفايا كهوفها

كالأغنية فى ثغرك ،

والزهرة التى ولدت

بين ثنايا الحجر

نطقتُ بحروفها الخفية ،

وهى تخطر متمائلة ،

اسمك النباتى المتوهج ،

والصخرة المدببة

المرفوعة كجدار العالم ،

عرفتُ أغنيتى

يا حبيبتى الغالية

وتحدثتُ الأشياء جميعا

بحبك ، بحبى ، يا حبيبتى
لأن الأرض والزمن والبحر والجزيرة
والحياة والمد
والبذرة التى تفتح شفاها
فى أعماق الأرض
والزهرة المفترسة
وحركة الربيع
كلهم يعرفوننا .
لقد وُلد حبنا
خارج الجدران
فى مهب الرياح
فى سكون الليل
فى أعماق الأرض
ولهذا
فإن الصلصال والزهرة ،

الطين والجذور ،

تعرف اسمك

وتعرف أن فمي

قد انطبق على فمك

لأننا قد بذرنا سويا في الأرض

ونحن فحسب لم نعرف ذلك

وأنا تنمو سويا

ونزهر سويا

ولهذا

فحينما نعبر ،

يكون اسمك مسطورا على أوراق الوردية

التي تنمو وسط الصخور

واسمى مكتوب في المغارات .

إنها تعرف كل ذلك ،

ليس لدينا أسرار

لقد نمونا معا

ولم نعرف ذلك .

إن البحر يعرف حبنا ،

وصخور المرتفعات الصخرية

تعرف أن قبلاتنا

قد أزهرت فى صفاء لا حد له ،

حين يطل فم قرمزي

من بين ثناياها

مثل حبنا

والقبلة التى توحد بين فمى وفمك

فى زهرة خالدة .

أى حبيبتي ،

إن الربيع الجميل

والزهور والبحر

تحيط بنا
ولكننا لا نبادل بها شتاءنا .
حين بدأت الرياح
تفك شفرة اسمك
التي تردده اليوم
مرارا وتكرارا
حين لم تكن أوراق الشجر تعرف
انك ورقة شجر
حين لم تكن الجذور تعرف
انك تبحثين عن صدرى .
حبيبتى ، حبيبتى
إن الربيع
يقدم لنا السماء
بيد أن الأرض العتماء
هى اسمانا

إن حبنا

ينتمى للزمن كافة وللأرض كافة..

حين يحب أحدهنا الآخر

وذراعى تحت رقبته الرملية

سننتظر

إذ الأرض والزمن يتغيران

فى الجزيرة

إذ تسقط أوراق الشجر

من التعريشات المتسلقة الضموت

إذ يرحل الخريف

من النافذة المحطومة

ولكننا سننتظر صديقنا

صديقنا ذا العينين الحمراءوين ،

النيران ،

حين تهز الرياح مرة أخرى

أطراف الجزيرة
ولا تعرف اسم أى أحد ،
وسيبحث عنا الشتاء
يا حبيبتي ،
سيبحث عنا دائما
لأننا نعرفه ،
أدنا لا نخشاه
لأن معنا النيران
دائما ،
معنا الأرض
دائما ،
معنا الربيع
دائما ،
وحين تسقط ورقة من التعريشات

تعرفين أنتِ يا حبيبتي
أى اسم مسطور على هذه الورقة
إنه اسم لكِ ولى
اسم غرامنا
كائن واحد
السهم الذى اخترق كبد الشتاء
الحب الذى لا يُقهر
نيران الأيام ،
ورقة سقطت فى صدرى ،
ورقة من أوراق شجرة الحياة
أقامت لها عشا ،
وغنّت ،
ومدت لنفسها جذورا
وأثمرت زهورا وفاكهة .
وهكذا ترين ،

يا حبيبتي ،
كيف أمشى فى الجزيرة ،
فى الدنيا ،
واثق الخطوة فى وسط الربيع ،
مجنونا بالنور فى وسط البرد
أمشى بهدوء وسط النيران ،
أحمل ورقة زهرك بين ذراعى
كما لو كنت
لم أمش قط دونك
يا روحى ،
كما لو كنت
لم أعرف المشى قط إلا معك ،
كما لو كنت
لم أعرف الغناء
إلا حينما تغنين .

الرسالة فى الطريق

وداعا

بيد أنك ستكونين دوما معى .

سترحلين معى

داخل نقطة دم تدور فى عروقى

أو خارجها

قبلة تحرق وجهى

أو زنارا من نار

حول وسطى

يا عذبتى

تقبلى الحب العظيم
الذى انبثق من حياتى
ثم لم يجد فيك أرضا
كالمستكشف الذى ضل طريقه
فى جزر الخبز والمسل .
لقد لقيتك بعد العاصفة
بعد أن غسل المطر الهواء
وبرقت قدمائك الجميلتان
كالأسماك فى المياه .
يا معبودتى ،
إنى ذاهب الى صراعاتى .

سوف أخمش الأرض
كيما أصنع لك مغارة
ينتظرك فيها قبطانك

وقد غطى الفراش بالزهور .
لا تفكرى بعد يا عذبتى
فى العذاب الذى سري فيما بيننا
كالبرق الفسفورى
وربما خلّف لنا بعضا من حروقه
لقد ظلّنا السلام بعد ذلك
لأنى ذاهب الى وطنى كيما أناضل
وبما أن قلبى هو قلب كامل
به شطر من الدماء التى منحتها لى الى الأبد
وبما أننى أقبض بملء يدى
على كيانك العارى
انظرى لى
انظرى لى
لأنى ذاهب يحوطنى البهاء
انظرى لى

فى الليل الذى أمخر عبابه
وما البحر والليل إلا عيناك هاتان .
إننى حين أبتعد عنك
لا أخرج منك قيد أنملة
وسأقول لك الآن ما يلى :
إن وطنى سيكون وطنك
وسأذهب لأغزوه
لا كيما أعطيه لك ، فحسب
بل كى يكون للجميع
لجميع شعبى .
سيخرج اللص من برجه يوما ما
وسيُطرد الفازى شر طردة
وسوف تنمو كل ثمار الحياة
فى راحة يديّ

اللتين تعودتا من قبل على الديناميت
وسأعرف كيف أحنو برقة
على براعم الزهور الجديدة
لأنك أنتِ قد علمتيني الحنان .
يا عذبتى ، يا معبودتى ،
ستأتين معى
كى تناضلى معى جنبنا الى جنب
لأن قبلااتك تحيا فى قلبى
كالرايات الحمراء

وإذا ما سقطتُ
لن يغطيني الثرى وحده
بل ذلك الحب العظيم الذى غمرتيني به
والذى يحيا فى دورتى الدموية .
ستأتين معى

إنى فى انتظارك هذه الساعة

في هذه الساعة وفي كل ساعة
انتظرك في كل ساعة .
وحين يأتي الحزن الذي أكره
يطرق بابك
قولي له إنني أنتظرك
وإذا أرادت الوحدة منك
أن تغيري الخاتم المنقوش عليه اسمي
قولي للوحدة أن تكلمني ،
قولي لها إنني اضطررت إلى الرحيل
لأنني ما أنا إلا جندي
وأنتي حيث أنا الآن ،
تحت الأمطار أو تحت النيران ،
في انتظارك يا حبيبتي .
إنني أنتظرك
في الصحراء الأشد ضراوة

والى جوار شجرة الليمون المزهرة

وفى كل الأنحاء

حيثما توجد حياة ،

حيث يولد الربيع

فى انتظارك يا حبيبتى .

حين يقولون لك :

هذا الرجل لا يحبك

فتذكرى أن قدمى

وحيدتان فى هذه الليلة

ويبحثان عن القدمين العذبتين

الصفيرتين

اللتين أعبدهما

يا حبيبتى

حين يقولون لك اننى قد نسيتك

وحتى إذا كنت أنا الذى أقول لك ذلك

إذا كنت أنا القاتل
فلا تصدقيني
فمن ذا الذى بإمكانه
أن يقطعك من قلبى
ومن ذا الذى سيتلقى دمنى
حين أتوجه إليك داميا ؟
بيد أننى أيضا
لا أستطيع أن أنسى شعبي
سأذهب لأناضل فى كل شارع
خلف كل حجر
وحبك يساعدنى كذلك
فهو زهرة منفلقة
تغمرنى فى كل وقت بأريجها الفواح
ثم تنفتح فجأة فى داخلى
كانها نجمة هائلة .

يا حبيبتي ،

لقد أسدل الليل أستاره .

المياه السوداء ،

والدنيا النائمة ،

تحوطاني .

وسيجئ الفجر بعدذاك

وفى هذه الأثناء

أكتب اليك كيما أقول لك :

أحبك

كيما أقول لك

أحبك

حاذرى ، نقية ،

انهضى

دافعى عن حبنا يا حبيبتى
إنى أتركه معك
كأنى أترك حفنة من البذور
فمن حبنا
ستولد حيوات
وسيشربون المياه فى حبنا
وربما سيأتى يوم
يقوم فيه رجل وإمرأة
مثلنا نحن الاثنين
بلمس هذا الحب
وسيكون ما يزال من القوة
بحيث يحرق أيدي من يلمسونه .
من كنا ؟
ماذا يهم ذلك ؟
سيلمسون هذه النيران

وستنطق النيران ، يا حبيبتي .

باسمك البسيط

وباسمى ،

الاسم الذى لم يعرفه سواك

لأنك الوحيدة على الأرض

الذى يعرف من أكون

ولأنه لم يعرفنى قط

إلا واحدة فقط من يدك الاثنتين

لأنه ما من أحد

قد عرف كيف ومتى

كان قلبى يحترق .

فقط

عيناك الواسعتان الداكنتان

عرفتا

وثغرك الواسع

وبشركك ، ونهداك ،
وجوفك ، وأعماقك ،
وروحك التي أيتظلتها
حتى تمضي منشدة
الى آخر الحياة .
إني في انتظارك يا حبيبتي
وداعا ، يا حبيبتي ، إني أنتظرك
يا حبيبتي ، يا حبيبتي ، إني أنتظرك .
وبهذا تنتهي هذه الرسالة
دونا أي حزن :
إن قدمي " ثابتتان فوق الأرض
ويدي تكتب هذه الرسالة
وأنا في الطريق
وسأكون دوما في خضم الحياة

الى جوار الصديق
فى مواجهة العدو
واسمك فى فمى
وقبله
لم تفارق قبلك فقط .

المحتويات

٧ الأرض فيك
٩ الملكة
١١ صانع الفخار
١٣ ٨ سبتمبر
١٧ قدماءك
١٩ يداك
٢٣ ضحكك
٢٧ القلب
٣١ الليل فوق الجزيرة
٣٥ الريح في الجزيرة
٣٩ الرحبية
٤١ أيتها الجميلة
٤٧ الغصن المسروق

٤٩	- الابن
٥٣	- الأرض
٥٧	- غياب
٦١	- النمر
٦٥	- النسر
٦٧	- الحشرة
٧٣	- الحب
٧٦	- قصيدة جديدة دائماً
٨١	- السؤال
٨٥	- المسرفة
٨٩	- الإساءة
٩٣	- البعر
٩٧	- الحلم
١٠١	- لوتنسينتى
١٠٥	- النسيان
١٠٩	- الفتيات
١١٣	- كنت تأتين
١١٩	- الجبل والنهر
١٢٣	- الفقر
١٢٧	- الحيوانات
١٣١	- الرؤية
١٣٣	- حبيبة الجندي

- ليست النيران وحدها ١٣٧
- الميثة ١٤٣
- أمريكا الصغيرة ١٤٧
- أنشودة واستنباطات ١٥١
- أنشودة العرس ١٧٥
- الرسالة فى الطريق ١٨٩

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٧٠٥٠

I.S.B.N 977 - 01 - 6127 - 6



«اشعاع القبطان» ديوان كامل من قصائد نيرودا الغزلية، صاغ فيها عواطفه الجامحة وحب الطاغى لماتيلدى (اوروتيا)، التى تزوجها عام ١٩٥٥. وقد سطر الشاعر هذه القصائد فى فترة من الاسفار الدائمة ما بين مدن الشرق والغرب داعيا للحرية والسلام والإخاء بين الشعوب، وعاصر غرامه الوليد شخصيات مثل بول إيلوار وجورج امادو وناظم حكمت وبابلو بيكاسو. وقد نشر الشاعر هذا الديوان لأول مرة عام ١٩٥٢ غفلا من اسم المؤلف، ربما للنبذة الذاتية التى تتسم بها قصائده، ولم يضع اسمه عليه إلا مع طبعة عام ١٩٦٣. ويضم الديوان ٤٢ قصيدة، تزخر كلها بالصور والاستعارات والخيالة الأصلية التى يتميز بها نيرودا فى كل شعره.

ومترجم الديوان عن أصله الإسباني هو ماهر حسن البطوطى، الذى أصدر من قبل ديوانين آخرين لنيرودا هما «عشرون قصيدة حب وأغنية ياس» و«اسبانيا فى القلب». وقد عمل لمدة خمس سنوات فى مدريد. قبل أن ينتقل للعمل مترجما ومحررا بالأمانة العامة للأمم المتحدة بنيويورك منذ عام ١٩٧٨.